أسرار الإقناع في مناظرات الباقر (عليه السلام)

المدرس الدكتور
أنوار جاسم عويد
الكلية الإسلامية الجامعة – النجف الأشرف
anwer@gmail.com

يُعَد أسلوب الإقناع فنَ فطري قديم، إلاّ أنه لم يظهر كعلمٍ مستقل إلاّ ضمن نتاجات القرن العشري، حيث أكّدت الدراسات أنّ لتحقيق هذا الأسلوب عدّة أمور لابُدّ من توفّرها في شخصية المخاطِب، وعند تَفَحُّص شخصية الإمام الباقر (عليه السلام) من خلال مناظراته تبيّن أن كلامه كلامٌ إقناعي من الطراز الأول، مُعتمِداً في تحقيقه على تقنيات عدّة منها لغوية، وبلاغية، وشُبه منطقية لذلك خَرجت الدراسة بعنوان (أسرار الإقناع في مناظرات الباقر(عليه السلام)، وقد جاءت الدراسة بمقدمة وبابين تَحدّث الباب الأول عن التعريف بالإقناع والاقتناع والشروط الواجب توفرها في كلا الطرفين والباب الثاني تناول التقنيات الإقناعية وقد تبيّن من خلال الدراسة أن الإمام (عليه السلام) وظّف كل تلك التقنيات من أجل إقناع المخاطَب موظّفاً كلامه حسب الشخصيات فبعضهم من وصل إلى درجة الإقناع، ومنهم من ازداد لجاجاً ونفوراً.

المقدمة:

يقول الله عزّ وجل ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾.

انطلاقاً من هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن الله تعالى قد رسم لرسوله الكريم محمد i طريقاً واضحةً تقوم على إتباع الحكمة والموعظة الحسنة في التعامل مع الآخرين بعيداً عن طريق العنف والمجادلة بالباطل، فلو سارَ عليها لفازَ بقلوب الناس وكَسَب تأييدهم ولضَمِن التصديق بدعواه كنتيجة للتقبّل والرضا، كذلك خصّ الله تعالى أهل بيته الكرام (عليهم السلام) بفضائل جمة ومناقب جليلة يشهدُ لها القاصي والداني، حتى كُلِّفوا

بأداء رسالته بعد الرسول محمد i وميّزهم بعلمه الوافر والكبير ذلك العلم الذي يُعد حَدَثاً معجزاً غيّر الكثير من المسارات، ولو حاولنا هنا أن نتفحّص شخصية الإمام الباقر a من خلال مناظراته وهو خامس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وكونه شبيه(١) جدّه الرسول الأعظم i في الكثير من صفاته وخصاله، وعلمه وذكائه حتى لُقّب بـ(باقر العلم)(٢) كما وصفه رسول الله i، فهل سَنَجِدُ الإمام الباقر (عليه السلام) شبيهاً لجده الرسول i في إتباع طريق (المجادلة بالتي هي أحسن) عند تعامله مع الناس، علماً إنّ أغلب كلامه انماز بسِمة إقناعية من الطراز الأول، وهنا تدفعني الرغبة إلى معرفة السر الذي يجعل من كلامه كلام إقناعي فهل يكمن السر في عينيه الفوارة بالعلم، أم لقلبه الواسع أم لأن كلامه كلام أولاد الأنبياء، أم أن هناك أسباب أخرى تختفي وراء ذلك؟

علماً أن الكثير من المناظرات التي كانت تجري معه هي مناظرات جدلية ناتجة عن ضعف قلوب الناس بدليل قوله (عليه السلام) ((عجبتُ لقومٍ يتولونا ويجعلونا أئمة ويصفون إن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله i ثم يكسرون حُجتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقناً ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان معرفتنا والتسليم لأمرنا))(٣).

لذلك اخترتُ الكتابة في ((أسرار الإقناع في مناظرات الباقر (عليه السلام))) وخرج البحث بمقدمة وبابين وجاء الباب الأول بمبحثين خصصتُ الأول منه للتعريف بالإقناع والاقتناع.

أما المبحث الثاني منه فقد أفردته للحديث عن الشروط الواجب توفرها في شخصية المخاطِب والمخاطَب.

أما الباب الثاني فوسمته بـ(تقنيات الإقناع في مناظرات الباقر (عليه السلام)).

وجاء بثلاثة مباحث: الأولى منها خصصته للحديث عن التقنيات اللغوية (ألفاظ التعليل، الوصف).

والمبحث الثاني تناول التقنيات البلاغية وتضمن (التشبيه، الاستعارة، والبديع).

أما المبحث الثالث فكان من نصيب التقنيات شبه المنطقية وقسمتُها إلى (أدوات لغوية، صيغ صرفية، قياس خطابي).

ثم ختمت البحث بخاتمة وبعض التوصيات ولابد من ذكر عدّة الدراسة من المصادر المختلفة قديمها وحديثها التي أفاد منها البحث.

الباب الأول

الإقناع وشروطه

المبحث الأول

التعريف بالإقناع والاقتناع

الإقناع لغةً: تحدثت الكثير من المعاجم اللغوية(٤) عن معنى الإقناع وما يدور حوله من معان، والإقناع في لسان العرب، متأتٍ من الفعل (قَنَع)، ويُقال قَنَع بالفكرة أو الرأي وقبله واطمأن إليه(٥).

أما اصطلاحاً: فهو عند العرب: مجموعة قوانين تُعرّف الدارس طرق التأثير بالكلام، وحسن الإقناع بالخطاب، وهو مظهر من مظاهر الإحساس بقوة الكلام وجدواه الذي لا يتم إلاّ في ظروف خاصة(٦).

أما عند الغربيين، كما عرّفه ولبر شرام ودونالد روبرت بأنه عملية اتصال تتضمن بعض المعلومات التي تؤدي بالمستقبِل إلى إعادة تقييم إدراكه المحيطة أو إعادة النظر في حاجاته وطرق التقائها أو علاقاته الاجتماعية أو معتقداته أو اتجاهاته(٧).

لكن هذا لا يعني أن الإقناع عملية لُغوية أو نشاطاً لسانياً، يتمُّ دون قصد أو إدراك، بل إنها محاولة واعية للتأثير في السلوك وهذا ما أكّده توماس شايدل (Thomas Scheidl)(٨).

ولابد لبُنية الخطاب الإقناعي من أن تكون قائمة على الحجاج، وقد ذهب إلى ذلك ديكرو حينما قال: أن كل قول هو فعل إقناعي، (على قول حجاج)(★)، فإنك تتكلم يعني أنكَ تُحاجج ولا وجود لكلام دون شُحنةُ حجاجية، فالحُجاج هو علاقة دلالية تعمل على الربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة(٩).

ومن هنا يمكن أن نقول: أن كل خطاب لابد أن تكون له غاية وغاية كل خطابٍ قائم على الحجاج هي الإقناع.

ويتوجب الإشارة إلى أن فن الإقناع هو فن فطري قديم يمارس مُنذ القدم، إلاّ أنه كعلم لا زال الخلاف قائم حول تحديد حدود المصطلح، فهناك من يُحاول أن يَمُدّ خيوط

الوصل بين الإقناع ومصطلحات أخرى كالإذعان والتصديق والتأثير(١٠) والإقتناع، ولكن هذا ليس محط أنظارنا، إلاّ أن طبيعة البحث تستوجب تسليط بعض الضوء على ماهية الإقتناع كونه الثمرة المتحققة من العملية الإقناعية عند المخاطَب.

الإقتناع: هو الرضا بالشيء ويُطلق عليه اعتراف الخصم عند إقامة الحُجة عليه، وهي على العموم إذعان نفسي لما يجده المرء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان والاحتمال الكافي لتوجيه عمله(١١).

وهناك من يُحاول أن يجعل الإقتناع هو الوجه الآخر للإقناع(١٢).

إلاّ أنني أرى أن الإقناع هو الجُهد المبذول من المخاطِب لتحقيق الإقتناع عند المخاطَب، وهناك فرق بين ما تبذله من جهد وبين ما تقصد تحقيقه من وراء ذلك.

المبحث الثاني

الشروط الواجب توفرها في المخاطِب والمخاطَب

وكي يتمكّن (المخاطِب) من تحقيق الإقتناع عند المخاطب وإنجاح العملية الإقناعية لابد من توفر بعض الشروط الأساسية عند (المخاطِب)، وهنا لستُ بصدد الحديث عن حياة الإمام الباقر (عليه السلام)، فله صفحات مشرقة في ثنايا الكتب(١٣)، لكن لابد من تسليط الضوء على بعض الصفات الفطرية التي مكنته من إقناع المخاطَب بمهارة فائقة ومن هذه الصفات:

١- ابتعاد الإمام الباقر (عليه السلام) عن الأجواء الانفعالية في الحوار. وقد روى المؤرخون الكثير من الصور التي تعكس ذلك المبدأ في حياته (عليه السلام) فيحكى أن رجلاً كتابياً حاجج الإمام (عليه السلام) بمُر القول وقال ((أنت بَقَر)) فلطف به الإمام (عليه السلام) وقابله ببسمات فياضة بالبُشر قائلاً ((لا.. أنا باقر))(١٤)، واخذ الإمام يعطفُ عليه ويعامله بالحُسنى حتى أعلن إسلامه ورجع إلى حضيرة الحق(١٥).

٢- الثقة: يُعد أحد المبادئ التي لخّصها نيوسوم (newsom) لتحقيق الإقناع(١٦)، وقد تمكّن الإمام الباقر (عليه السلام) من حيازة ثقة أغلب الناس، فمنهم من يقتنع لعلمه، ومنهم من يقتنع لأدبه، أو لعظيم خُلقه، ولا يأتي ذلك من فراغ بل أن اهتمام الإمام الباقر (عليه السلام) بالناس قولاً وفعلاً هو ما جعل منه محط أنظار ثقة الناس واهتمامهم، فالجماهير عادةً ما يكون لها إقبال على الشخصيات التي تتمتع بسمعة

طيبة، كيف لا يكون له ذلك، وقد بلغ الذروة في العلم والعمل والفكر، وليست اعتباطاً أن يُقال ذلك، إذ تفيأ ظلال الرسالة والإمامة برعاية أبيه السجاد (عليه السلام) طوال سنوات إمامته.

فعمل الإمام الباقر (عليه السلام) على استكمال ما بدأه أبيه (عليه السلام) من عمله التغييري خلال تبنّيه السياسة التعليمية المعطاء ومارس نشاطاً تثقيفياً على أعلى المستويات، حتى استقطب نشاطه الكثير من رواد المعرفة وقَصَد علمه أغلب رجالات الفكر من معتزلة ومتصوفة وخوارج وسواهم(١٧).

٣- مصداقية الإمام الباقر (عليه السلام): على الرغم مما ينادي به الكثير من العلماء من أهمية التلاعب بالقول والتضليل من أجل تحقيق الإقناع فها هو فليب بروتون يذهب إلى أن الإقناع يتحدد من خلال التلاعب بالعقول الدعاية، المحاججة، البرهنة، الإغواء والتضليل(١٨)، إلاّ أن مناظرات الإمام (عليه السلام) تفصح عن خلوّها من تلك المغالطات الوصفية واللفظية وبناء حججه على سلمية متدرجة الأمر الذي أُحيل كلامه الاقناعي على مرجعية ثقافية مشتركة بين العناصر المتخاطَبة وفي مناظراته الكثير من الأمثلة التي تدل على ذلك(١٩).

٤- اعتماده على ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتيجة. فهناك الكثير من المخاطَبين الذين يصل معهم الإمام (عليه السلام) إلى درجة الإقناع إلاّ أنهم لم يعترفوا ولم يعلنوا إقتناعهم، وإن كان ذلك متحقق داخلياً، مثل ذلك ما حصل مع الإمام (عليه السلام) والشخص الذي حاججه في الإمام علي (عليه السلام)، وبعد أن أقنعه الإمام (عليه السلام) أن الإمام (عليه السلام) كان يعمل ضمن حدود طاعة الله. لم يعترف بذلك ولم يرتدع عن رأيه، إلاّ أنه حين قام كان يردد: الله أعلم حيث يجعل رسالته(٢٠). وهذا دليل كافٍ على صدق الإمام (عليه السلام) وتعامله الهادئ مع المخاطَبين وفي الوقت نفسه دليل على تمرُّد المخاطَبين وعنادهم.

٥- ويمكن أن نُضيفَ صفة أخرى إنماز بها الإمام الباقر (عليه السلام) وهي: علمية الإمام (عليه السلام) وأدبه وحُسن اللفظ عنده(٢١)، سيما إذا ما عرفنا أن عمره تسع سنين وقد سُئِل عن أدقّ المسائل فأجاب عنها، ومما يؤيد ذلك قال الشيخ المفيد: ((لم يظهر على أحدٍ من ولد الحسن والحُسين من علم الدين وآثار السُنة وعلم القرآن والسيرة

وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) (٢٢)، وما حدث مع الرجل الشامي أكبر دليل على علمية الإمام (عليه السلام)، إذ قال للإمام (عليه السلام): ((يا محمد إنما أخشى مجلسك لا حُباً مني إليك، ولا أقول: أن أحداً أبغض إليّ منكم أهل البيت، وأعلم أن طاعة الله، وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم، ولكنّي أراك رجُلاً فصيحاً لك أدبٌ وحسن لفظ فإنما اختلف إليكَ لحُسنِ أدبك(٢٣).

بعد أن سَلّطنا الضوء على شخصية الإمام (عليه السلام) (المخاطِب) لابد من توضيح بعض أنواع (المخاطَبين) كي يتسنى لنا تصور صعوبة تحقق الإقناع عندهم، فمن خلال ما أُجري من مناظرات بين الإمام (عليه السلام) و(المخاطَبين) تبيّن أنهم على أنواع:

- منهم من هو خالِ الذهن ويأتي حجاجَه من أجل الحصول على المعرفة العلمية أو الدينية... الخ.

مثال تلك الشخصية: الرجل الذي سأل الإمام (عليه السلام) عن العلم الذي ليس فيهاختلاف... من يعلَمه(٢٤)؟

- ومنهم من هو شاك ومتردد مما في ذهنه، فيأتي بالسؤال والمحاججة من أجل أن يبصر النور مثال ذلك ما حدث مع الإمام (عليه السلام) حينما سأله رجل عن الأنفِحة التي توضع في الجبن(٢٥).
- ومنهم من هو عالم بالفكرة ولكنه منكِر وجاحد بسبب ضعف إيمانه، مثال ذلك محاججة هشام بن عبد الملك للإمام (عليه السلام) إذ سأله من أين يَرِثُ أهل البيت (عليهم السلام) ما ليس لغيرهم من العلم(٢٦)؟

كذلك مناظرة بعض رؤساء الكيسانية للإمام (عليه السلام) في حياة محمد بن الحنفية(٢٧).

فعلى الرغم من أن المخاطَب يصل إلى درجة الإقتناع والرضا بما يطرحه عليه الإمام (عليه السلام) إلاّ أنه لا يعترف بذلك ويُبقي أمر إقتناعه مكنوناً. وفي إطار هذا الموضوع أشار كل من راين (Ryan) وجروس (Gross) إلى أن المحاجج حينما يُريد أن يتبنّى فكرة فإنه يتمّ عِبرَ أربع مراحل هي:

١- الشعور بالفكرة.

٢- الإقتناع بفائدتها.

٣- محاولة قبولها والتبني الكامل لها.

٤- هناك أطراف قد تشعر بالفكرة ويقتنعون لكن يتوقفون دون أن يتبنوّها أو يتقبلوها.

ويمكن القول أن في أغلب مناظرات الباقر (عليه السلام) قد تمكن من أن يصل بالمحاجج (المخاطَب) إلى مرحلة الشعور بالفكرة والاقتناع بها، ولكن هناك مَن قبَلَها وتَبنّاها حتى انعكس ذلك على سلوكه وما حدث مع الرجل الديصاني الذي طلب من الإمام (عليه السلام) أن يدله على معبوده، وعندما تمكن الإمام (عليه السلام) من إقناعه قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وإنك إمام وحجة من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه(٢٨)، وأحياناً يتطور الحال حتى يصل بـ(المخاطب) إلى درجة الدهشة عندما يعمد (عليه السلام) إلى توظيف العجائب الغرائبي(٢٩) في حُجاجه مثال ذلك عندما حاجج زيد بن الحسين الإمام (عليه السلام) حول ميراث رسول الله j عمد الإمام إلى ما هو غير مألوف، حينما جعل السكينة تنطق وتهدد زيد بالقتل، والصخرة تنطق كذلك الشهرة التي أقبلت تخرّ الأرض حتى أظللتهم، فغُشي على زيد وتراجع عما كان عليه، فيرى المحاجج ما هو خارج عن المألوف وما هو خارق لقوانين الطبيعة(٣٠).

وهناك من يشعر بالفكرة ويقتنع بها لكن دون أن يتبناها، مثال ذلك ما حصل مع العالم النصراني حين قال لقومه بعد محاججته الإمام (عليه السلام): ((جئتموني بأعلم مني وأقعدتموه معكم حتى هتكني وفضحني وأعلم المسلمين بأن لهم مَن أحاطَ بعلومِنا وعنده ما ليس عندنا لا والله لا أُكلمكم من رأسي كلمة واحدة...))(٣١).

وقد يأتي نجاح المخاطِب بمردود سلبي حينما يكون المخاطَب ذا سلطة وهذا دليل على تقوقع المخاطَب وتمرده وعدم تبنيه الفكرة جملةٍ وتفصيلاً، مثال ذلك ما حدث للإمام (عليه السلام) مع هشام بن عبد الملك حينما وبّخ الإمام (عليه السلام) هو وقومه... ثم ردّ الإمام عليه رداً مُقنِعاً بحُججٍ أفقدت هشام صوابه فبحث عن وسيلة لإسكات الإمام (عليه السلام) وثنيه عن الاستمرار في إقناع الناس بدعواه فاعتمد هشام على ما يُسمى (بالإطار المُكرّه) وذلك باستعمال لهجة التهديد حيث أمر بسجن الإمام (عليه السلام) وفي هذا مخالفة كبيرة وواضحة لقواعد التخاطب وخرق لقواعد الحوار.

الباب الثاني

تقنيات الإقناع في مناظرات الباقر (عليه السلام)

المبحث الأول

التقنيات اللغوية

كما هو معروف أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حُجاجية، فهي من الوسائل المعتمدُ عليها في تحقيق الإقناع وقد وظّف الإمام الباقر (عليه السلام) الكثير منها في مناظراته، نأخذ منها:

أ) ألفاظ التعليل:

يركُن الإمام (عليه السلام) إليها حينما يُريد أن يُبرر موقفاً أو يُعلّل فعلاً ما، بناءً على سؤال مفترض من الطرف المحاجج ومن تلك الألفاظ التي وظّفها في مناظرته مع هشام بن عبد الملك بعد أن وبخه هشام هو وقومه رجل بعد رجل: قال (عليه السلام) (٣٢): أيها الناس أين تذهبون وأين يُراد بكم، بنا هدى الله أولكم وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجّل فإنّ لن ملكاً مؤجلاً وليس بعد ملكنا ملك لأنّا أهل العاقبة يقول الله عزّ وجل: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

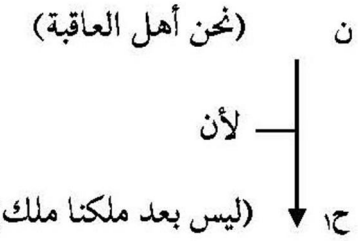

يتخذ الإمام (عليه السلام) من الأداة (لأن) الواردة في قوله: (لأنّا أهل العاقبة) لفظاً تعليلاً لقوله (ليس بعد ملكنا ملك) كونها تُذكر لسوق الحجة فالإمام (عليه السلام) عالم بأن المخاطَب يعلم وينكر ويَجحد حق الإمام (عليه السلام) وأهل بيته الأطهار لذلك وظف تلك الأداة ليبرر السبب وكأن المخاطب يسأل لماذا ليس بعد ملككم ملك؟ فيأتي الجواب: لأنّا أهل العاقبة.

(★)

كما عمد (عليه السلام) إلى توظيف أسلوب المقابلة الحاصل بين

أولكم ⟷ آخركم

لكم ⟷ لنا

ملك مؤجل ⟷ ملك معجّل

وقد تآزر هذا الأسلوب مع الرابط (لأن) وشكلا تعاضداً حُجاجياً رفد النص دلالياً وإيقاعياً، فللمزاوجة بين اسلوبي الإقناع والإمتاع تأثير كبير على اعتقاد المخاطَب وتوجيه سلوكه لما يَهبَهُ هذا الإمتاع من قوة استحضار الأشياء ونفوذ في إشهادها للمخاطب وكأنه يراها رأي العين(٣٣).

ومن ألفاظ التعليل التي وظّفها الإمام الباقر (عليه السلام) في مناظراته سوقه للأداة (لذلك) والتي من وظائفها سوق النتيجة، قوله(٣٤): بعد أن سأله رجل عن سبب غسل الميت غسل الجنابة ((إن الله عزّ وجل خلق خلاقين، فإذا أراد أن يخلق خَلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (٣٥) فعجن النطفة بتلك التربة التي يخلق منها بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة، فإذا تمت له أربعة أشهر، قالوا يا رب تخلق ماذا؟ فيأمرهم بما يُريد من ذكر أو أنثى، أبيض أو أسود، فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة)).

فعمد الإمام هنا إلى الشرح المفصّل والدقيق والذي من اجله وظّف أدوات عدة كل منها تعمل لغايتها، وبما أن أمر الخلق هو أمر متكرر من الله سبحانه وتعالى وكثير الوقوع فقد ركن إلى توظيف أداة الشرط (إذا). وهي تُتسعمل للأمر المقطوع حصوله والكثير الوقوع(٣٦)، وقد تكررت ثلاث مرات مع الفعل الماضي في قوله (إذا أراد)، (إذا تمّت)، (إذا خرجت)، وبما أن النص في صدد الحديث عن (خلقِ الخَلق) الذي يُجزم بوقوعه لذا استخدم معهُ الفعل الماضي، والفعل الماضي أدل على الوقوع هنا باعتبار لفظه(٣٧).

ومن جهة أخرى نلحظ اقتران جواب الشرط بالفاء أحياناً (مثل قوله) و(فيأمرهم) إذ أن في الفاء معنى السببية(٣٨).

كما أن دخول الفاء على الفعل الماضي إشعاراً بأن أمر (أخذ التربة) هو أمر بمنزلة الواقع تحقيقاً وتأكيداً له. وهي تفيد في تعيين الجزاء وإيضاح المعنى ولولا الفاء الواقعة مع الفعل (يأمرهم) لقال السامع أن فعل الجزاء هو الفعل (قالوا) الواقع بعد (إذا تمت) بينما فعل الجزاء هو (فيأمرهم)، وأحياناً أخرى يعزف (عليه السلام) عن استخدام (الفاء) مع الفعل الماضي (فعل الجزاء) حينما يحسُّ بأن الفعل يصح أن يقع شرطاً(٣٩) كما جاء قوله (أمرَهُم) وكأن الكلام يؤول (إذا أمَرَهُم) لذا فقد جاء الفعل (فأخذوا) وكأنه جواب للشرط المتخيّل الواقع في قوله (فإذا أمرهم)، ويُمكن تمثيل ذلك حُجاجياً:

بدون (ف)	(فعل الجزاء)	خَرجت	(فعل الجزاء) + ف	فيأمرهم	(فعل الجزاء) + ف	فأخذوا
(ف+إذا+ فعل الشرط)		فإذا خرجت	(ف+إذا+ فعل الشرط)	فإذا تمت	فيها معنى الشرط (جواب شرط)	أمرهم
					ف + إذا + (فعل الشرط)	فإذا أراد

وبعد أن كرر الأداة (إذا) مع (ف) التي وردت سبع مرات في النص والتي أورد الحُجج من خلالها مرتبة ومتسلسلة كونهما تُفيد السبب وتُفيد إيضاح المعنى، عمد إلى توظيف الرابط الحجاجي (لذلك)(٤٠) والذي يأتي لسوق النتيجة المتمثلة في قوله (يغسل الميت غسل الجنابة) وبذلك أصبح كلامه متسلسل الأحداث معتمداً على عطف الحجج واحدة تلو الأخرى وبعدها ساق النتيجة معززاً كلامه كله بما أورده من نص قرآني تمثّل بقوله ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ وسيأتي الحديث عن دور الآيات القرآنية وما لها من أثر حجاجي في النص.

ب) الوصف:

يُعد الوصف أحد الآليات اللغوية التي وظّفها الإمام الباقر (عليه السلام) في مناظراته ولها دور فعّال في وضع الحُجج المسوقة في مراتب مختلفة، فاختلاف الوصف يؤدي إلى اختلاف الحجج قوةً أو ضعفاً، من ذلك قوله(٤١):

((إن الله جلّ وعز خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حُججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه)).

فالصفة الواردة في قوله هي (نجباء) وقد جاءت جمع تكسير مفردها (نجيب) على وزن (فعيل)، لتدلَّ على معنى استمرارية الفهم لعلم الله عزّ وجل والثبوت على ذلك الأمر، كما رفد النص باسلوب الجناس الاشتقاقي(٤٢) الحاصل في قوله (خلق خلقاً من خلقه) فكل هذه الألفاظ مأخوذة من الفعل (خلق) ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من قيمة جمالية تسهم في تحقيق الامتاع عند المخاطب حتى يتحقق الإقناع.

كذلك قوله(٤٣) ((هذا حصنٌ مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة فهي على حالها لم يخرج منهما خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبرُ عن فسادها لا يدري للذكر خُلقت أم للأنثى، تنفلق مثل ألوان الطواويس، أترى لها مُدبِّراً)) النص يزخر بأسماء الوصف منها (اسم المفعول)(٤٤) يكمنُ في قوله (مكنون) وهو اسم مفعول من الفعل (كنن) والذي يدل على معنى الإخفاء.

والغاية من ذلك الوصف هي:

١- أن وصف الحُصن بالمكنون دلالة على شدة الإحكام والاخفاء فلا يُطلع الله عزّ وجل على خلقه أو ما في أسرار خلقه إلاّ هو.

٢- أن الخَلق عاجزون عن التدخُل في ذلك الأمر العظيم الذي وصف بـ(المكنون).

٣- أن ذلك الأمر له مدبّر واحد وهو الله تعالى فقط.

هذا وقد رفد النص بصيغة اسم الفاعل بصيغة المؤنث المتمثلة بقوله (ذائبة) و(مائعة) من الفعل الثلاثي (ذاب، ماع)، كذلك وظف اسم الفاعل(٤٥) من الفعل الرُباعي (أخرج، أفسد) فجاءتا على صيغة (مُفسِد، مُصلِح)، وقد وصف الشيء الخارج منها بـ(المصلح) والشيء الداخل فيها بـ(المُفسد) والغاية من ذلك هو التنبيه على أن كل شيء يخرج من خلق الله عزّ وجل هو خير، وكل شيء يتدخل فيه البشر يأتي بالفساد وهذا بُحكم علمهم وإدراكهم فقُدرة الله وعلمه غير قدرة البشر وعلمهم وفي هذا مفارقة كبيرة وواضحة، وقد سهّل تمثيلها (للمُخاطَب) حينما وظّف أسلوب المقابلة(٤٦).

الحاصل في قوله:

(فعل مضارع) يخرج ⟷ دخل (فعل ماضي)

(اسم فاعل) مصلح ⟷ مفسد (اسم فاعل)

وبذلك قد صنع (عليه السلام) حُججاً دامغة لإثبات قدرة الله على تدبير الكون والخلق العظيم.

المبحث الثاني
التقنيات البلاغية

يدرك الإمام (عليه السلام) ما للبلاغة من أثر فعّال في إقناع السائل، فهي كما وصفها افلاطون كسب عقول الناس بالكلمات(٤٧)، ومن هذه التقنيات التي وظفها:

١- التشبيه:

يذهب بعض اللغويين(٤٨) والبلاغيين على أن التشبيه والتمثيل لفظان مترادفان، وعلى ذلك الأساس سأذكر التشبيه والتمثيل معاً. ومن مناظراته التي ورد فيها تشبيهاً قوله(٤٩):

سأل قتادة الإمام الباقر (عليه السلام) عن الجبن حيث قال: أنه ربما جعلت فيه انفحة الميت قال: ليس بها بأس أن الأنفحة ليس لها عروق وفيها دم ولا لها عظم إنما تخرج من بين فرث ودم، ثم قال: وإنما الأنفحة بمنزلة دجاجة ميتة أخرجت منها بيضة فهل تؤكل البيضة؟ فقال قتادة: لا، ولا آمر بأكلها فقال أبو جعفر (عليه السلام): ولم؟ فقال: لأنها من الميتة.

قال له فإن حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة اتأكلها؟

قال: نعم.

قال فما حرم عليك البيضة وحلل لك الدجاجة؟ ثم قال (عليه السلام): ((فكذلك الانفحة مثل البيضة...)).

إن الإمام الباقر (عليه السلام) في تشبيهاته يعمد إلى أسلوب ينقل فيه الصورة من الفكر إلى الفطرة ومن الغموض إلى ما هو بديهي وهذا من شأنه أن يزيل ما فيها من شكوك ويذهب ما بها من أوهام، فصلة النفس بالمحسوسات أسبق من صلتهما بالمعقولات(٥٠). الغاية من ذلك أن يتخذ السائل من ذلك تمريناً وتدريباً لمواقف قادمة، فكان بإمكانه

(عليه السلام) أن يقول له: نعم يمكنك أكله، ولكنه عمد إلى أسلوب التشبيه التمثيلي كونه تقنية حجاجية لها فاعليتها في الإقناع، فعمد إلى خلق صلة بين صورتين كي يتمكن من خلالها السائل إدراك ما أُشكِل عليه. ويمكن تمثيل ذلك حجاجياً:

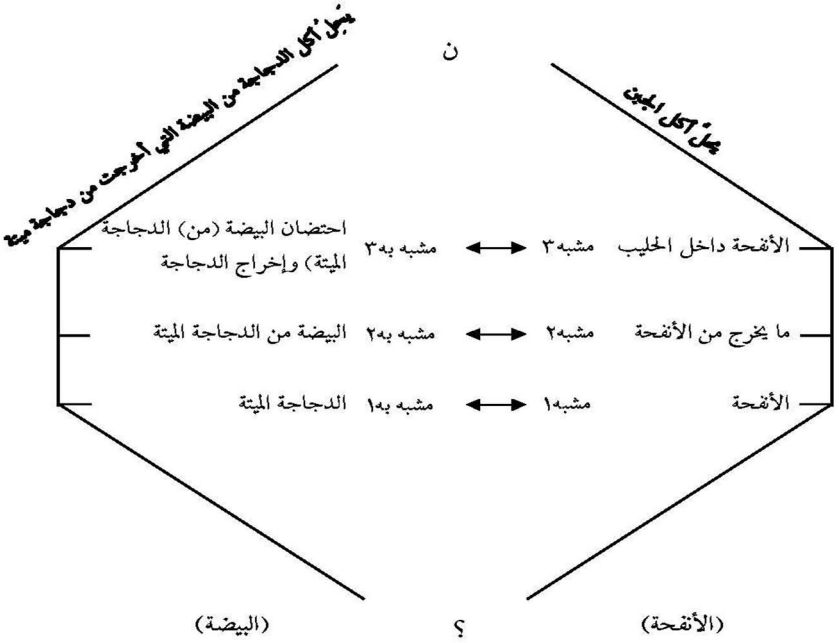

٢- الاستعارة[٥١]:

وتُعد من أبلغ وأقوى الآليات البلاغية لما لها من بُعد حُجاجي، سيما عندما تؤدي وظيفة استمالة المخاطَب نحو الإقناع. ومن نماذج الاستعارة في مناظراته قوله(٥٢):

((ويحك أتدري أين أنت أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله...)).

تتمركز الاستعارة في قوله (يدي بيوت) فهو يشبّه البيوت بالشخص الذي له يدين فيحتوي بهما الأشياء، فعمد إلى حذف المشبه به وإبقاء لازمة من لوازمه (اليدين) وهذا ما يسمى بالاستعارة المكنية من أجل أشعار المخاطَب بالأمان، وفي ذلك التعبير إيحاء بالاحتواء، كون أهل البيت (عليهم السلام) مركز الطمأنينة والأمان إذ أنها بيوت يذكر فيها اسم الله تعالى وهذا ما يجعلها مركز للطمأنينة، وبهذا التوظيف تمكن من التأثير في المخاطَب

وإقناعه حجاجياً، إذ أن الاستعارة متى ما نجحت في استمالة المخاطب أصبحت مقوماً حُجاجياً(٥٣)، كما رفد النص باسلوب بلاغي حجاجي آخر وهو أسلوب المجاز المرسل(٥٤) المتمركز في قوله (بيوت) إذ ذكر هنا بيوت وأراد سُكان البيوت فلا يمكن أن يكون للبيت يدين ولا يمكن للإنسان أن يقصد البيت وإنما يقصد أهل البيت وإنما حدث ذلك مجازياً من أجل توجيه خطابه وتحقيق أهدافه الحجاجية.

البديع: يُعد البديع ركن من الأركان التي يرتكز عليها الخطاب، لا على سبيل الزخرفة اللفظية، ولكن بهدف تحقيق الإقناع عند المخاطب فهي أصلاً أساليب للإبلاغ والتبليغ(٥٥).

ومن مناظراته التي ورد فيها أساليب بديع، قوله(٥٦): عندما سأله عبد الله الليثي فقال بلغني أنك تُفتي في المتعة؟

قال أحلّها الله في كتابه وسنّها رسول الله وعمل بها أصحابه، فقال: قد نهى عنها عمر؟

قال: فأنت على قول صاحبك وأنا على قول لصاحبي فلمَ تُحرّم ما أحلّ الله لك؟

قال: لا أحرم ولكن الحائك ما هو لي بكفؤ.

قال: فإن الله ارتضى عمله ورغّب فيه وزوّجه حوراً أفترغب عمن رغّب الله فيه...

يُعد أسلوب الطباق(٥٧) من المُحسنات البديعية التي وظفها الإمام (عليه السلام) في قوله، وقد تحقق بين الاسمين:

أنا ⟷ أنت

وهو ما يُسمى بطباق الإيجاب

كذلك الطباق الحاصل في قوله:

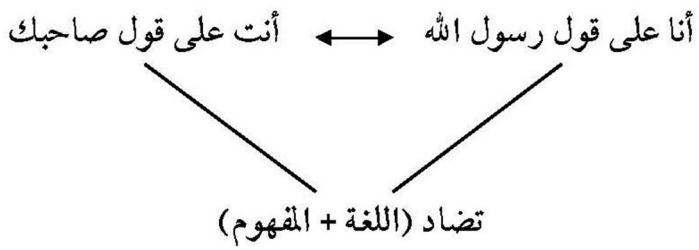

كما عمد (عليه السلام) إلى توظيف فن الجناس(٥٨) وهذا بدوره يُشكّل تصاعداً إيقاعياً يخلق نمطاً من التفاعل عند المستمع وقد أحدث تجانساً غير تام يروم من ورائه تنامي البعد الدلالي الذي يكشف عن رؤيته للموضوع. إذ جانس بين (رغّب فيه، ترغب عنه) وهو في الوقت نفسه يُطابق ايجابياً بينهما وهذا ما اسميه بتوأمة الأساليب حين يعمد إلى توظيف أكثر من أسلوب داخل اللفظين في اللحظة ذاتها، فقوله (رغب فيه) يحمل معنى الترغيب والاقبال على الشيء، والثاني يحمل معنى النفور والابتعاد عن الشيء، ولا يقف الأمر عند حد التلفظ فقط بل تعدّاه إلى رسم صورة حركية متخيّلة بالألفاظ يمكن تصويرها:

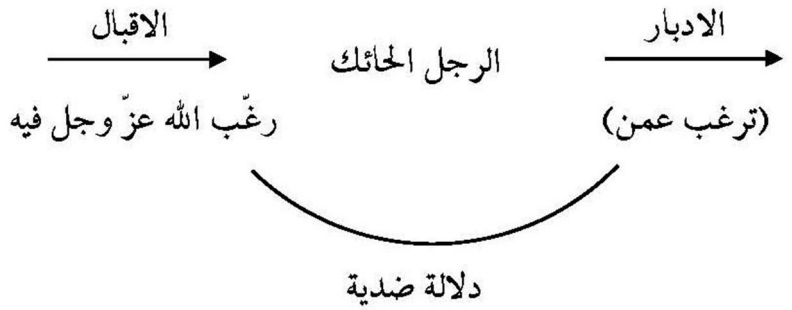

فالمستو

١- المستوى السطحي: الذي يتصل بحاستي حاسة السمع التي تستطيع أن تسمع إيقاع الحروف عند تجاورها لتكون كلمة أو بعض كلمة، وحاسة البصر التي يمكنها تتبع رسم الحروف وما بينها من توافق واختلاف.

٢- المستوى العميق: وفيه تم تدقيق النظر في حركة الذهن واختيارها نقطة ارتكاز تتشابه على مستوى الصياغة وتتغاير على مستوى الدلالة معتمداً في ذلك كله على المزاوجة بين أسلوبي الإقناع والإمتاع حتى يكون لذلك تأثير على اعتقاد المخاطَب وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من استحضار الأشياء ونفوذ في إشعارها للمُخاطب وكأنه يراها رأي العين(٥٩).

المبحث الثالث

التقنيات شبه المنطقية

وتعرّف على أنها مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبية(٦٠)، وتُقسم إلى عدّة أقسام منها:

أ) الأدوات اللغوية:

هذه الأدوات التي ترسم مسار الخطاب، فاللغة بشكل عام تحتوي مؤشرات لغوية خاصة يمكن أن تؤدي وظيفة حجاجية، ومنها:

العوامل الحجاجية: وهي تقوم بتقيد الامكانات الحجاجية للقول وحصرها. وهي متمثلة بأدوات القصر(٦١).

والروابط الحجاجية: وهي تقوم على الربط بين أمرين أو قضيتين ومن هذه الروابط (لكن، الواو، الفاء، لأن... الخ).

ومن توظيفات الإمام الباقر (عليه السلام) لتلك الأدوات قوله(٦٢) لأبي حنيفة: أنت رجل مشهور ولا أحب أن تجلس إليّ فلم يلتفت وجلس فقال للإمام: أنت الإمام؟

قال (عليه السلام): لا.

قال: فإن قوماً بالكوفة يزعمون أنك إمام؟

قال (عليه السلام): فما أصنع بهم؟

قال: تكتب إليهم تخبرهم.

قال (عليه السلام): لا يطيعون إنما نستدلّ على من ناب عنّا بمن حضر قد أمرتك أن لا تجلس فلم تطعني وكذلك لو كتبت إليهم ما أطاعوني فلم يقدر أبو حنيفة أن يدخل في الكلام.

لقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى خلق عملية تفاعلية ربط من خلالها المخاطب برموز لفظية وغير لفظية ومن خلال توظيف العامل (إنما) وما بعده، فهو لم يقل (لأبي حنيفة) أنت مثلهم وإنما قال (نستدل على من غاب...) فالحجة التي جاءت بعد (إنما) أقوى من الحجة التي جاءت قبلها، فقد أثبت لأبي حنيفة عدم الطاعة دون أن ينطق بذلك، إذ أن المعاني ترتبط مباشرة باللغة التي يستعملها الإمام (عليه السلام) وهذا من استراتيجيات علم

المعاني التي تقوم على مفاهيم علماء الانثربولوجيا السلالات البشرية لتجسيد قصده وتحقيق هدفه(٦٣).

وقوله (عليه السلام) (٦٤):

((أبى الله عزّ وجل أن يطلع على علمه إلاّ ممتحناً للإيمان به كما قضى على رسول الله i أن يصبر على أذى قومه، ولا يُجاهدهم، إلاّ بأمره، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (٦٥). وأيم الله أن لو صدع قبل ذلك لكان آمناً، ولكنه إنما نظر في الطاعة، وخاف الخلاف فلذلك كف،...)).

لقد وظّف الإمام (عليه السلام) أسلوب القصر الحاصل في قوله (أبى، إلاّ)(٦٦) للرد على المُخاطب الذي يعتقد رأياً مخالفاً لما أورده الإمام الباقر (عليه السلام)، فتساوق الحُجج هنا بعضها مع البعض الآخر من أجل الوصول إلى ما يريده الإمام (عليه السلام)، كما وظّف مجموعة من الروابط الحجاجية ليُقنع السائل بأن الله عزّ وجل قد أمر الرسول i أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدهم إلاّ بأمره، فلو بلّغ قبل أن يأذن له الله لتصدّع الناس كما يتصدّع الجبل، وأصبحوا شقين، شق مؤيد، وشق مخالف ويمكن تمثيل ذلك حجاجياً(٦٧).

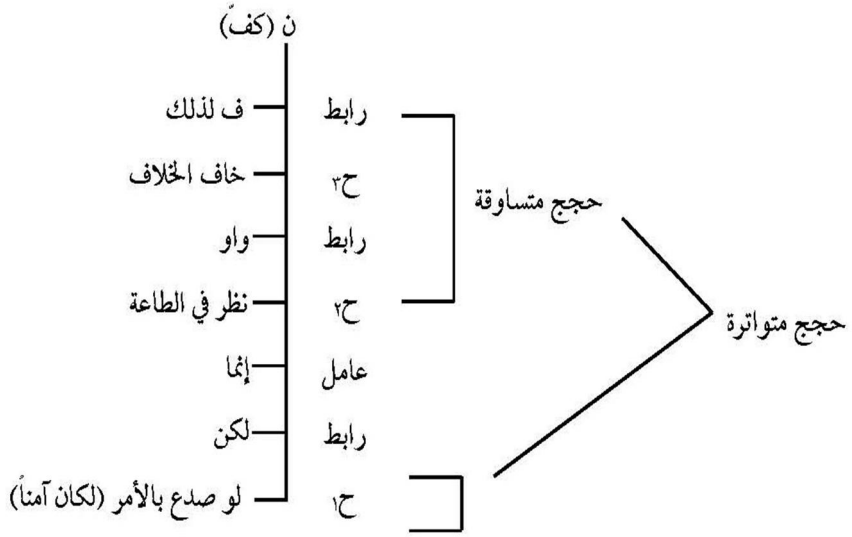

فالحجة الأولى تتعارض مع الحجة الثانية لذلك جاء بالرابط الحجاجية

(لكن)، فضلاً عن دعم الحجة الثانية بحجة ثالثة (خاف الخلاف) وربطهما بالرابط (و) وهذا الرابط يعمل على الربط بين الحجج المتساندة والعمل على تقويتها والحجة الثالثة هي أقوى من الحجة الثانية، فضلاً عن ربط الثانية والثالثة بالنتيجة (كف) عن طريق الرابط (ف + لام التعليل + اسم الإشارة)(٦٨) كون الحجة الثانية والثالثة سبباً لتحقيق النتيجة.

ب) الصيغ الصرفية:

ومنها اسم التفضيل، وصيغ المبالغة وحجة الدليل، ومن توظيفاته (عليه السلام) لتلك الصيغ، قوله(٦٩):

عندما سُئل الإمام (عليه السلام) عن الناس ((ما أشغلهم عن الأكل والأشرب يومئذ، فقال (عليه السلام): هم في النار أشغل، ولم يشغلوا أن قالوا: (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)).

فقد وظّف اسم التفضيل (اشغل) ردّاً على سؤال السائل ما أشغلهم يوم القيامة عن الأكل والشرب؟ وهنا يأتي اسم التفضيل ليدلُ على انشغالهم بالنار دون أن يشغلهم شيء وقد حُذِفَ من اسم التفضيل (من والمفضل عليه) لدلالة ما قبله عليه.

أما ما يخص صيغ المبالغة(٧٠) فقد وظفها في مناظراته، من ذلك ما جاء في قوله(٧١): إن الله خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حُججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه...)).

ومحل الشاهد هنا توظيف صيغة المبالغة (قُوّام) من الفعل (قام) على وزن (فُعّال)(٧٢) و(قوام) جمع لاسم (قائم) وتدل على أن صفة القيام بأمر الله تعالى ثابتة لا تتغيّر فيهم فهناك فرق في التأثير بين (قوام) و(قائمون) فالأولى أكثر حجاجية وأكثر توكيد كونها من صيغ المبالغة وهي تحمل معنى الكثرة والمبالغة.

أما ما يخصُ حجة الدليل(٧٣) من توظيفاته (عليه السلام) لها(٧٤)، عندما سأل الإمام الباقر (عليه السلام) سعد بن عبد الملك عما يبكيه قال: كيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن فقال له (عليه السلام): لستَ منهم أنت أموي منا أهل البيت أما سَمِعت الله عزّ وجل

يحكي عن إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ (٧٥). فعمد (عليه السلام) إلى توظيف حجة قوية من أجل إقناع السائل وطمأنته بأنه ليس من الشجرة الملعونة من خلال توظيف للآية القرآنية، ولا يُخفى ما للنصوص القرآنية من سلطة حجاجية قوية تأخذ بيد المخاطَب إلى بر الإقناع.

وقوله (عليه السلام) (٧٦): حينما أُغلق باب المدينة بوجهه (عليه السلام) بأمر من هشام بن عبد الملك فشكا أصحابه الجوع والعطش، قال (عليه السلام) يا أهل المدينة الظالم أهلها أنا بقية الله، يقول الله: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (٧٧).

فقد جاء توظيف النص كدليل على قوله (عليه السلام) ومن أجل تخويف الناس بما يصنعونه بأهل البيت (عليهم السلام) ويُذكرهم بما حدث مع قوم شعيب وكيف أخذتهم الصيحة وقد أسهم هذا التوظيف في رفع ذات الإمام (عليه السلام) إلى درجة عالية في الخطاب، وبالتالي منحه طاقة سلطوية بالخطاب عند النطق بالآية الكريمة فتكون الطاقة هي طاقة الخطاب الذي يتوارى الإمام (عليه السلام) خلفه، أما دليل نجاحه بذلك التوظيف فهو استجابة الناس لدعوته (عليه السلام) ورجوعهم عما كانوا عليه.

ج) القياس الخطابي:

من بين الأدوات شبه المنطقية التي وظفها الإمام الباقر (عليه السلام) في خطاباته هو أسلوب القياس ويعد اسلوباً بين ثلاثة أساليب استدلالية عرفها المتكلمون والمسلمون وبحثوها في مناظراتهم ورسائلهم(٧٨). والقياس بشكل عام ينقسم إلى قياس منطقي يقوم على الاستنتاج العلمي، وقياس خطابي يقوم على الاضمار(٧٩) والاحتمال، وما يهمنا هو النوع الثاني كونه فعالية استدلالية خطابية تقوم على الحجاج، لهذا سُمي أداة شُبه منطقية.

ومن مناظراته التي ورد فيها قياس قوله(٨٠) لشخص سأل هل بإمكان أن يُدخل الله تعالى الدنيا كلها البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا.

فقال (عليه السلام): يا هشام كم حواسك؟

قال: خمس.

قال (عليه السلام): أيهما أصغر؟

قال: الناظر.

قال (عليه السلام): وكم قدر الناظر؟

قال: مثل العدسة أو أقل منها.

فقال (عليه السلام) يا هشام: فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى.

فقال: أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً وبراري...

فقال (عليه السلام): إنّ الذي يُدخل الذي تراه العدسة أو أقل منه قادر أن يدخل الدنيا كلها

البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة.

نستخرج من هذه المناظرة القائمة على التفاعل مع الآخر (وهو ما يُسميه طه عبد الرحمن بالاجتماعية)(٨١) - قياساً مقتضباً والصورة التامة له هي:

١- أن الناظر هي أصغر الحواس، وترى ما هو أكبر منها.

٢- أن الله قادر على أن يُدخل الأرض والسماء في عدسة العين.

٣- إذن: الله قادر على أن يدخل الدنيا كلها البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة.

فالنتيجة (٣) تلزم من (١) و(٢).

وقوله (عليه السلام) (٨٢) لشخص جادل في أن علياً (عليه السلام) قتل أهل النهروان ظلماً:

فقال له (عليه السلام): اخبرني عن الله عزّ وجل أحبّ علي بن أبي طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟

قال: فإن قلت لا قد كفرت، قد علم.

قال (عليه السلام): فأحبه أن يعمل بطاعته أو يعمل بمعصيته.

فقال: أن يعمل بطاعته.

فقال (عليه السلام): فقُم مخصوماً.

أن هذه المناظرة لا شك فيها أنها قائمة على استدراج المخاطَب(٨٣) وتهيئته نحو الهدف، ويمكن أن نستخرج منها قياساً مقتضياً وصورته هي:

١- أن الله تعالى يعلم أن علي (عليه السلام) سيقتُل أهل النهروان.

٢- أن الله تعالى يعلم أن علي (عليه السلام) يعمل بطاعته.

٣- إذن أن قتل علي (عليه السلام) لأهل النهروان هو عملٌ ضمن حدود طاعة الله تعالى دون معصيته.

والنتيجة (٣) تُلزم من (١) و(٢).

نلحظ هنا أن الإمام (عليه السلام) يطلب من المخاطَب أن يشاركه معتقداته بعيداً عن الاختلاف في الرأي، علماً أن مطالبته لا تكتسب بصيغة الإكراه، ولا تندرج على منهج وإنما تتبع في تحصيل غرضها سُبلا استدلالية متنوعة تجر المخاطَب جراً إلى الإقتناع برأي المحاور(٨٤).

الخاتمة

لقد اعتمد الإمام الباقر (عليه السلام) على أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن، وجاءت أغلب مناظراته من أجل إقناع المُخاطَب المعاند إذ أن أغلب مَن حاججوه كان حُجاجهم نابعاً من عدم إيمانهم كما أشار (عليه السلام) إلى ذلك، فضلاً عن أنه كان يراعي حالات المخاطَبين فيُحاكي كل منهم بما يُناسبه معتمداً على الحوار المنطقي الهادئ، ومعتمداً على أساليب عدّة داخل النص الواحد ولا يعني أنه كان متكلفاً بل كانت الأساليب تجري بانسيابية عذبة وما ذلك إلاّ دليل على براعته في التوظيف، وتَمكنهُ من كل التقنيات سواء أكانت لغوية أم بلاغية أم شُبه منطقية، وقد بَرع بها جميعاً بدليل إني كُلّما عزوت بسبب تمكنه من الإقناع إلى احدى التقنيات وجدتُ نفسي عاجزة عن التعليل حتى استفذ الأمر كل التقنيات، وظل الأمر مكنوناً وما هو إلاّ دليل على أنه (عليه السلام) حُجّة الله على خلقه يهدي به من يشاء ويضل به من يشاء، بدليل أن الكلام الإقناعي الذي يوجهه الإمام (عليه السلام) إلى مخاطبيه كانت نتائجه إما هداية فيهتدي المحاجَج ويدخل الدين الإسلامي ويرتد عما كان عليه، وإما أن يَظلّ الطريق فيهم على وجهه فيزداد كفراً ونقولاً.

التوصيات:

توصي الباحثة باعتماد الدراسات الحديثة النقدية الحديثة في تحليل مناظرات الإمام الباقر (عليه السلام) لأن مناظراته بحرٌ من الإبداع قادرة على استيعاب كل الدراسات حتى أن كل مناظرة من مناظراته تصلح أن تكون مشروع بحث، إلاّ إنني طفتُ حولها طواف

سريع فجمعت منها ما جمعت، لأن طبيعة البحث لا تسمح بالوقوف طويلاً عند النص الواحد.

Abstract

The method of persuasion is an ancient innate art, but it has not emerged as an independent science except within the products of the twentieth century, where the studies have shown that there are several things must be provided in the personality of the addresser in order to achieve this method. In the examination of the personality of Imam Al-Baqir (peace be upon him) through his debates turned out that his speech is persuasive of the first-class, relying in achieving that on several techniques, including linguistic and rhetorical and semi-logical techniques, so the study came out under the title "Secrets of Persuasion in the Debates of Al-Baqer pbuh". The study came with an introduction and two chapters, the first chapter dealt with the definition of the persuasion, conviction and the conditions that must be provided in the both parties, and the second chapter dealt with the persuasive techniques. It is clear from the study that the Imam has applied all of these techniques and using his words in order to persuade the addressee according to their personalities; some of them have reached the degree of conviction and some of them have increased their stubbornness and unwillingness.

هوامش البحث

(١) ينظر: أعيان الشيعة: ٤/٤٦٤.

(٢) روي عن جابر ابن عبد الله الأنصاري، قال: سمعتُ رسول الله j يقول: ((إنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقرا...)). ينظر: أصول الكافي: ١/٤٦٩.

(٣) موسوعة أهل البيت، ج١٢، ص٢٢.

(٤) ينظر: مُعجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس: (قنع).

(٥) لسان العرب: ابن منظور، مادة (قنع).

(٦) لسان العرب: ابن منظور، مادة (قنع).

(٧) الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رتشي: ٢٠.

(٨) ذهب توماس شايدل إلى أن الإقناع ليس مجرد عملية يقوم بها الباحث لتغيير اعتقاد المتلقي أو سلوكه دون وعي منه، بل أنها محاولة واعية للتأثير في السلوك تتمظهر في مواقف يتخذها المخاطبون ويتم تحقيق الإقناع بخطاب يرتكز على المنطق والحجة، ويتطلب درجة عالية من الثقافة والدراية.

(★) ذهب إلى ذلك الرأي: اوسن فريلي. ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد: ١٩٢.

(٩) يُنظر: اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي: ١٤ - ١٦.

(١٠) ينظر: آليات الخطاب الإقناعية في الخطاب القرآني، سورة الشعراء أنموذجاً، بلخير عمر بو عمامة: ٣٧ - ٤١.

(١١) ينظر: صناعة القائد، طارق محمد السويدان، فيصل عمر، ١٤٩.

(١٢) ينظر: الخطاب ومنطلقاته: عبد الله صولة

(١٣) يُنظر عن حياته: حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، سير أعلام النبلاء، ج٤؛ في رحاب الإمام الباقر (عليه السلام)، روائع من سيرة الأئمة الاثني عشر، علي الدخيل

(١٤) حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، ج١/١٢٠.

(١٥) ينظر: أعيان الشيعة: ٤/ق١/٥٠٤، ويُنظر: حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، ج١/١٢١.

(١٦) مبدأ الثقة، مبدأ المعرفة، مبدأ الحركة، مبدأ الوضوح: ينظر: الإقناع الاجتماعي: عامر مصباح: ٢٣.

(١٧) ينظر: نفحات من السيرة: ١٤٨.

(١٨) ينظر: (Philipe Breton: p:12)، نقلاً عن: الإقناع في قصة إبراهيم (عليه السلام)، مقاربة تداولية، بوصلاح فايزة: ١٥.

(١٩) ينظر: البحار، ج١٠/١٨٥، ح٨؛ الكافي: ٨/٣١٢، ح١٨.

(٢٠) ينظر: الكافي: ٨/٣٥١، ح٥٤٨.

(٢١) كان جابر بن عبد الله الانصاري على شيخوخته يأتيه فيجلس بين يديه فيعلمه، وقد بهر جابر من سعة علوم الإمام ومعارفه وطفق يقول: يا باقر لقد أوتيت الحكم صبيا. ينظر: علل الشرائع: ٢٣٤.

(٢٢) ينظر: نفحات من السيرة، ١٤٨ - ١٤٩، وينظر: الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٣٢.

(٢٣) ينظر: بحار الأنوار: ٦٦/١١.

(٢٤) ينظر: الكافي: الشيخ الكليني، ٢٥٦/٦.

(٢٥) ينظر: الكافي: الشيخ الكليني: ٢٤٢/١.

(٢٦) ينظر: البحار: ٣١٢/٤٦؛ مدينة المعاجز: ٧٦/٥.

(٢٧) ينظر: مناقب ابن شهرآشوب: ٢٨٩/٢، ينظر: موسوعة أهل البيت (عليهم السلام): ج١٥٩/١٢.

(٢٨) ينظر على سبيل المثال: قول النافع بن الأزرق: صدقت يا ابن رسول الله يا أبا جعفر، انتم والله أوصياء رسول الله وخلفاؤه في التوراة، واسماؤهم في الانجيل وفي الزبور والقرآن وانتم أحق بالأمر من غيركم. ينظر: مناقب ابن شهرآشوب: ٢٨٩/٢، وما حدث مع الرجل الديصاني الذي طلب من الإمام (عليه السلام) أن يدله على معبوده، وعندما تمكن الإمام (عليه السلام) من إقناعه قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وإنك إمام وحجة من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه. ينظر: الكافي: ٨٠/١، ح٧٤.

(٢٩) العجب: حيرة تعترض الإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه. الغريب: كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة وذلك أما من تأثير نفوس قوية وإما من تأثير أمور فلكية أو إجرام عنصرية، كل ذلك بقدرة الله تعالى. ينظر: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا القزويني: ٥ - ٩.

(٣٠) عندما حاجج زيد بن الحسين الإمام (عليه السلام) حول ميراث رسول الله i عمد الإمام إلى ما هو غير مألوف، حينما جعل السكينة تنطق وتهدد زيد بالقتل، والصخرة تنطق كذلك الشهرة التي أقبلت تخرّ الأرض حتى أظللتهم، فغُشي على زيد وتراجع عما كان عليه. ينظر: البحار: ٣٣١/٣٦.

(٣١) ينظر: البحار: ٣١٢/٤٦.

(٣٢) البحار: ٢٦٤/٤٦.

(★) ملاحظة: يشير الرمز (ن) إلى النتيجة، (ح) إلى الحجة الأولى من توظيفاته للأداة (لأن) ينظر مناظراته في موسوعة أهل البيت: ١٤٤، ١٢٤، ١٢٨، ١٤٧.

(٣٣) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن: ٣٨.

(٣٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٠٤/٦٤.

(٣٥) سورة طه، الآية ٥٥.

(٣٦) معاني النحو: فاضل السامرائي: ج٤/٦٤.

(٣٧) المصدر نفسه: ج٤/٦٥.

(٣٨) التصريح: ج٢/٢٥٠.

(٣٩) ينظر: معاني النحو: ج٤/٨٩.

(٤٠) لذلك: مكوّنة من لام التعليل + اسم الإشارة (ذلك) للأمر البعيد مثال ذلك: (أنا أعدك لذلك اليوم) أي لأجله: معاني النحو، ج٣/٥٦.

(٤١) الكافي: للشيخ الكليني، ج٦/٢٥٦.

(٤٢) الجناس الاشتقاقي: يُقصد به اشتقاق اللفظين المتجانسين من حروف الفعل نفسه، ينظر: مفتاح العلوم: ٥٤١.

(٤٣) الكافي: ١/٨، ح٧٤.

(٤٤) اسم المفعول: ((هو وصفٌ مشتق يدلّ على حدث، وعلى من وقع عليه الفعل)). الصَرف: حاتم صالح الضامن: ١٦٠.

(٤٥) اسم الفاعل: هو وصف أو اسم مشتق يدل على شيئين، على حدث طارئ لا يدوم، وعلى من قام به. ينظر: الصرف: حاتم الضامن: ١٥٨.

(٤٦) المقابلة: ((ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويؤتى في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يُخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة)) العمدة، صناعة الشعر ونقده.

(٤٧) يُنظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم: معتصم بابكر مصطفى: ٥٣.

(٤٨) يقول صاحب المثل السائر ((وجدتُ علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا باباً مفرداً ولهذا باباً مفرداً وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع)): ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير: ٢١٩.

(٤٩) الكافي: الشيخ الكليني: ٦/٢٥٦.

(٥٠) البلاغة فنونها وافنانها، فضل عباس: ٧٥.

(٥١) الاستعارة: هي ضربٌ من التشبيه ونمطٌ من التمثيل، والتشبيه قياس والقياس فيما تعيه القلوب وتدركه العقول، وهي على نوعين، مكنية وتصريحية. ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: ٢٠.

(٥٢) الكافي: الشيخ الكليني: ٢٥٦/٦.

(٥٣) الاستعارة الحجاجية بين ارسطو وشايم بيرلمان: محمد الولي: ٥٣٥.

(٥٤) المجاز المرسل: ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه): ينظر: الايضاح: ٢٧٧.

(٥٥) استراتيجيات الخطاب: الشهري: ٤٩٧.

(٥٦) ينظر: البحار، ٣٥٦/٤٦، ح١٠.

(٥٧) الطباق: ((الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة، مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد)) الصناعتين: أبو هلال العسكري: ١٦.

(٥٨) الجناس: تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وهو إما تام وإما غير تام) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب: ٩١.

(٥٩) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن: ٣٨.

(٦٠) استراتيجيات الخطاب: ٥٠٠.

(٦١) أدوات القصر تمثل: إنما، ما + إلاّ، لا + إلاّ، والبعض بـ بل، لكن، وتقديم ما حقه التأخير. ينظر: جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي: ١٥٥.

(٦٢) البحار: ٣٥٦/٤٦، ح٣.

(٦٣) الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية والسياسة العلمية، عامر مصباح: ٥٤.

(٦٤) الكافي: للشيخ الكليني: ٢٤٢/١.

(٦٥) سورة الحجر: الآية ٩٤.

(٦٦) قد يقول أحدهم أن القصر يقع بـ (ما، لا) مع إلاّ، فنقول أن (أبى) فعل فيه معنى ورائحة النفي لذلك يؤدي معنى (ما أو لا).

(٦٧) ح١ يرمز للحجة الأولى، ح٢، ح٣ يرمزان للحجة الثانية والثالثة اللتان يتعارضان مع الحجة الأولى ن يرمز للنتيجة.

(٦٨) تم الإشارة إلى هذا الرابط (لذلك) في مبحث التقنيات اللغوية.

(٦٩) سير أعلام النبلاء: ٤٠٥/٤.

(٧٠) صيغ المبالغة القياسية، مفعال، فعول، فعيل، فَعل، استراتيجيات الخطاب. ينظر: ٥٥٦ وما بعدها.

(٧١) ينظر: الكافي: الشيخ الكليني: ٢٥٦/٦.

(٧٢) ينظر: الصرف: حاتم صالح الضامن: ١٥٩.

(٧٣) حجة الدليل: أُريد بها الآيات القرآنية التي وظّفها الإمام (عليه السلام) في مناظراته فهي تشكل محوراً كبيراً لدعامات الحجج القوية.

(٧٤) ينظر: البحار: ٢٨٥/١١.

(٧٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

(٧٦) الكافي: ٤٧٢/١، ح٥.

(٧٧) سورة هود: الآية ٨٦.

(٧٨) هي القياس والاستنباط والاستقراء، ينظر: طه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٩٧.

(٧٩) وهو قياس ناقص الأركان حيث تُحذف احدى مقدماته إذ تُبنى المقدمة المحذوفة على القولين الآخرين بشرط وجود قرينة بينهما، وقد يُطرح الإشكال إذا ما حذفت المقدمة الكبرى، ينظر: النص الحجاجي العربي، محمد العبد: ص٢٤.

(٨٠) البحار: ٣٢/٣، ح٥.

(٨١) أن المحاور يتوجه إلى غيره مطالباً إياه بمشاركته معتقداته ومعارفه. في أصول الجوار وتجديد علم الكلام: ٣٧١.

(٨٢) البحار: ١٨٥/١٠، ح٨.

(٨٣) أكد أرسطو أن هناك ثلاثة أنواع من التصديقات التي قد يلجأ إليها المتكلم من أجل الإقناع وهي: أما أن يكون بكيفية المتكلم وسمته، أو بتهيئة، السامع واستدراجه، أو ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت. الخطابة، أرسطو، تحقيق: عبد الرحمن بدوي: ٩.

(٨٤) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٣٨.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أساليب الإقناع في القرآن الكريم، معتصم بابكر مصطفى، قطر، ط١، ٢٠٠٥م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.

- أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاصد بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر، محمود محمد شاكر، ط١، مطبعة المدني، مصر، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.
- أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨ أو ٣٢٩هـ) علّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، بازار سلطاني، طهران - إيران، ١٩٨٦م.
- أعيان الشيعة، الشيخ محسن الأمين العاملي، تحقيق: حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، لبنان، ١٤٠٣هـ.
- الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العلمية، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، ٢٠٠٥م.
- الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، نقله إلى العربية: نور الدين آل علي، وديع فلسطين، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني، البيان، البديع، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، ط١، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ٢٠٠٣م.
- البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر احياء الأئمة الأطهار، المجلسي، تحقيق: إبراهيم الميانجي، محمد الباقر، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، إشراف: صدقي محمد جميل، ط مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط٢، د.ت.
- الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيل علوي، ج٤، عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- ؟؟؟؟؟: النص الحجاجي العربي: محمد العبد، دراسة في وسائل الإقناع.
- حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، تأليف باقر شريف القرشي، مطبعة القضاء، النجف، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- الخطابة، ارسطو طاليس، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.
- روائع سيرة الأئمة الاثني عشر، علي الدخيل.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شُعيب الارناؤوط، حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، ط٩، بيروت، ١٤١٣هـ.
- الصرف، حاتم صالح الضامن، بغداد، ١٩٩١م.
- صناعة القائد، طارق محمد السويدان
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا القزويني، مطابع المقاصد، القاهرة، د.ت.
- علل الشرائع، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) (المكتبة الحيدرية - النجف).
- العمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر، وأحمد عطا، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ت.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م.
- في رحاب الإمام الباقر (عليه السلام) نشأته، حياته، عصره، إسماعيل سليمان المير علي، منشورات دار صمد، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل ابن منظور الانصاري (ت٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه ووضع حواشيه: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.
- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير الجزري (ت٦٣٧هـ)، قدمه وحققه وشرحه وعلّق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط٢، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- معاني النحو، فاضل السامرائي، شركة العاتك للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- مُعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ت.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) حققه وقدّم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهرآشوب (ت٥٨٨هـ)، المطبعة العلمية، قم، د.ت.
- موسوعة أهل البيت (عليهم السلام) سيرة الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، جمع وإعداد: السير علي عاشور، دار نظير عبود، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- نفحات من السيرة موجز لسيرة الرسول j وأهل بيته (عليهم السلام)، لجنة التأليف مؤسسة البلاغ، ط٦، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

الرسائل الجامعية:

- آليات الإقناع في الخطاب القرآني، سورة الشعراء أنموذجاً، دراسة حُجاجية، هشام بلخير، إشراف: محمد بو عمامة، جامعة الحاج خضر، باتنة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- الإقناع في قصة إبراهيم (عليه السلام) مقارنة تداولية، بوصلاح فايزه، إشراف: د. بن عيسى عبد الحليم، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م
- الحجاج أطره ومنطلقاته، عبد الله صولة من خلال مُصنّف في الحجاج الخطابة الجديدة، لبيرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف: حمادي حمود، منشورات كلية الآداب، تونس، ١٩٩٨م.